العتبة العباسية المقدسة
قسم الشؤون الفكرية والثقافية
شعبة الدراسات والنشرات

٧

الصدق بوصلة نجاة في عالم متأزم

تمتّع بالاستقرار النفسي وكسب الجهد والوقت وإصابة كبد الحقيقة

حسن الهاشمي

العتبة العباسية المقدسة
قسم الشؤون الفكرية والثقافية
شعبة الدراسات والنشرات
كربلاء المقدسة
ص.ب (٢٣٣)
هاتف: ٣٢٢٦٠٠، داخلي: ١٧٥-١٦٣

www.alkafeel.net
info@alkafeel.net

الكتاب: الصدق بوصلة نجاة في عالم متأزم.
تأليف: حسن الهاشمي.
الناشر: قسم الشؤون الفكرية في العتبة العباسية المقدسة.
التدقيق اللغوي: عمار كريم السلامي.
التصميم: علاء سعيد الأسدي.
الاخراج الطباعي: محمد قاسم النصراوي.
المطبعة: دار الكفيل للطباعة والنشر.
الطبعة: الأولى.
عدد النسخ: ٢٠٠٠ .

جمادى الاولى ١٤٣٦-آذار ٢٠١٥

المقدمة

ربما لا يستطيع أحد أن يقف أمام الملأ ويقول أنا الصادق؛ لأن هذه الصفة اختصها الله تعالى لذاته المقدسة ولمن اصطفى من رسله وأوليائه، بيد أننا مدعوون للاتصاف بهذه الخصلة النبيلة؛ لأن فيها نجاتنا ونجاحنا، وهي مطمح كل من يريد التغيير إزاء كل ما هو مفيد.

متى يجيء اليوم الذي نتكلم فيه كلام الشرف، ونَعِدُ وعْـدَ الصدق، وتقوم حياتنا على التواصي بالحق، وطالما نحن نسير في ركب الشرف والصدق والحق، فإننا أمة حية لا تموت، ولا شرف ولا حق بلا صدق في النوايا والأقوال والأفعال، قال الشاعر:

الصدقُ أفضلُ شيءٍ أنت فاعلهُ
لا شيءَ كالصدقِ لا فخرٌ ولا حسبُ

وقال الشاعر أحمد شوقي:

والمــرءُ ليس بـصـادقٍ في قـولـهِ
حـتـى يـؤيـدَ قـولـهُ بـفـعـالـهِ

إن حضارة الإنسان وتاريخه ومستقبله رهن كلمة صـدق، فبالحق والـصـدق نعيش مكرمين منعمين، ولا مكرمة ولا نعمة بدون صدق الكلام وحلاوة مدلولاته، الواحد منا باستطاعته أن يزرع الـصـدق والـرصـانـة لكي يحصد الثقة والأمـانـة، فالصدق عز والكذب ذل، بل الصدق ربيع القلب، وزكاة الخلقة، وثمرة المروءة، وشعاع الضمير، واذا لم تتعلم الصدق من الآخرين، فلا تحاول أن تعلمهم طريقتك الفريدة في الكذب.

ليس من الضروري أن يكون كلامي مقبولا،

بل من الضروري ان يكون صادقا، وللصدق رائحة لا تُشَم بالأنوف، ولكن تُحَس بالقلوب، إنما نرى آثاره في استتباب الأمن واشاعة الثقة بين الإخوان وزرع وشائج المحبة والألفة بين الأسر والأصدقاء، وبكلمة أن الإسلام يهتف فينا قائلا: أيها الناس النجاة في الصدق، والخذلان في الكذب والتدليس، وهما طريقان في الحياة، فالمتوازن المتعقل الحكيم ينتخب الصدق، والمتذبذب الجاهل الأحمق ينتخب الكذب، والأول موصل إلى الطمأنينة والنجاة والثاني بطبيعة الحال موصل إلى الهلكة والخراب.

الصدق وأنواعه

الصدق: وهو ملكة نفسانية سامية وقوة ارادة يستطيع بها الانسان أن يبرهن عن حسن خلقه بلا تكلف، وهو الاخبار بما يطابق الواقع، والصدق يرمز الى الانسان الذي يسيطر عقله على هواه ويكره الكذب، وكذلك يكره الخداع والرياء والتضليل، والصدق يرمز الى الطهارة في ذات الانسان ويؤدي الى من يتحلى به الى التقدير والاحترام، وأدنى حد الصدق أن لا يخالف اللسان القلب، ولا القلب اللسان، ويجب أن يكون في الأقوال وفي الأفعال وفي جميع الأحوال.

ولفظ الصدق له ستة معانٍ:

١. صدق في القول: يصدق في القول مع الله ومع الناس.

٢. صدق في الأعمال: بأن يبذل جهده في عمل ما ويكون صادقا في ظاهره وباطنه من غير رياء.

٣. صدق في النية: والنية روح الأعمال، ويجب على الانسان أن يجردها من الشوائب والمفاسد، فالصادق في النية يكون مخلصا.

٤. صدق في العزم: وهو التأكيد القوي على الخير إن استطاع أن يعمله.

٥. صدق في الوفاء: وهو تنفيذ ما عزم عليه من الخير ولا يتراجع عنه.

٦. صدق في تحقيق مقامات الدين كلها، وهو أعلى درجات الصدق، كالصدق في الخوف والرجاء إلى الله، والزهد والحب والتوكل عليه تعالى في كل شيء وسائر المكارم، وكفى الصدق ثناء قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ**﴾. (البقرة: ١١٩).

وتبقى علاقة الانسان مع ربه رهينة الصدق والاخلاص في العبادات والمعاملات، ولولا الصدق لأضحت الأمـور كلها تافهة تشوبها الكثير من الصفات المذمومة والتي تردي بصاحبها في المهالك والأزمات، فقيام الليل والناس نيام، وصيام الهجير، وتحمل مشاق الجهاد ومتاعبه، كل هذه العبادات وغيرها التي فيها التعب والنصب والجهد، فإن الانسان لا يتحملها لولا صدقه مع نفسه وصدقه مع الله تعالى، وذلك بأداء شكر المنعم المتفضل، وكذلك الوصول إلى مراتب العبادة الحقة التي يتبوَؤها المرء بغض النظر عن عبادة التجار أو العبيد، بل أنها عبادة الأحرار كما وصفها الإمام الصادق عليه السلام بقوله: «**العباد ثلاثة: قوم عبدوا الله خوفا فتلك عبادة العبيد، وقوم عبدوا الله طلباً للثواب فتلك عبادة الأجراء، وقوم عبدوا الله حبا له فتلك عبادة الأحرار وهي أفضل**

العبادة»(الوسائل ١/ ٦٢).

الصدق مختص بالله والأنبياء والمؤمنين

وصف الله تعالى ذاته القدسية بالصدق: وذلك يتمثل في نقطتين رئيسيتين:

أ. قوله صدق: فكل ما نزل به الوحي وأخبر به عن الباري عز وجل من أمور الدنيا والآخرة هو الصدق الذي لا ريب فيه: ﴿**وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللهِ حَدِيثًا**﴾. (النساء:٨٧).

ب. وعده صدق: فكل ما وعد الله به أنبياءه وعباده الصالحين كالنصر والغلبة وغيرها قد تحقق كما تحقق وعده بهلاك الكفار وخذلانهم، ومن أمثلة ذلك صدق وعده سبحانه وتعالى بفتح مكة: ﴿**لَقَدْ صَدَقَ اللهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالحقِّ لَتَدْخُلُنَّ المسْجِدَ الحرَامَ إِنْ شَاءَ اللهُ امِنِينَ**﴾. (الفتح: ٢٧).

وعندما كذبت الأمم السابقة أنبياءها ورسلها على الرغم من قوة الحجج والبراهين الدالة على صحة نبوتهم ورسالتهم، وكأن السخرية والتكذيب عادة يتوارثونها من جيل إلى جيل لينال سيد الأنبياء والمرسلين حظه من تكذيبهم كما طال سابقيه، لذا كان تأكيد القرآن الكريم على صدق الرسول صلى الله عليه وآله وبقية الأنبياء متكررا متجددا في أغلب سوره وآياته كقوله تعالى: ﴿**وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا**﴾.(الأحزاب: ٢٢).

وأثنى الله على كثير من أنبيائه ووصفهم في القرآن الكريم بالصدق كإبراهيم واسماعيل ويوسف وإدريس وخاتمهم محمد صلى الله عليه وآله، وهو كان ملقّباً بـ (الصادق الأمين) بين عشيرته وقومه، وكان الصدق صفة لازمة له، ولقد قالت له السيدة خديجة عليها السلام

عند نزول الوحي عليه: إنك لَتَصْدُقُ الحديث.

وكذلك يذكر القرآن الكريم الصدق باعتباره صفة لصيقة بالمؤمنين حين يشير إلى بعض صفاتهم: ﴿**الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ**﴾.(آل عمران: ١٧). وكذا قوله: ﴿**مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ**﴾. (الأحزاب: ٢٣).

ولا يزال الصدق يطرق أبواب الأنبياء والأولياء والصالحين من العباد، ليدلف إلى دوحتهم المباركة، لأنه منهم وهم منه بمثابة الرأس من الجسد، فبالصدق وسديد القول يبلّغ المرسلون رسالاتهم الإلهية، وبالصدق والتسليم يلتقط المؤمنون ما يصدح من حناجرهم الحاكية عن حكم السماء وألطاف الإله بما يرشد إلى الخير والصلاح، فالصدق صفة ملازمة للتبليغ والإرشاد وأنها تتربع على عرش

الصفات النبيلة التي تلازم المرسل لتبليغ الرسالة بما هي دون شد أو جذب ودون زيادة أو نقصان، وكلما وصلت الذروة فإنها بحاجة إلى قمم سامقة لتبوء مكانها اللائق الذي هو في مقعد صدق عند مليك مقتدر، وهكذا فإن القمم محجوزة للأنبياءَ وما عداها وصولا للسفح يتقاسمها المؤمنون كل حسب إيمانه ودرجته وكماله، لهذا اختلف الأصحاب في درجاتهم ومنازلهم عند الله تعالى والرسول والأولياء عليهم السلام بحسب درجات صدقهم بالنبوة والرسالة والعقيدة.

الصدق علامة المؤمن

يقول الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: ﴿**وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللهِ حَدِيثاً**﴾.(النساء: ٨٧). وجاء في الحديث الشريف: «**الصدق لباس الدين**».(عيون الحكم ٥:٢٧١).

بعد هذا العرض الموجز للآية والرواية تتبيّن لنا

أهمية صفة الصدق في حياة الفرد المؤمن الذي ينبغي أن يتحلّى بالصفات الأخلاقية الحسنة التي تعكس التربية الإلهية الصحيحة المستقاة من شرع الله ودينه لعباده الذين أراد بهم ربّهم خيراً في الدنيا والآخرة.

فالصدق صفة من صفات الخالق تبارك وتعالى، ويريدها أن تكون صفة لعباده أيضاً، والصدق مطلوبٌ في مجمل حركة الإنسان "فعلاً وقولاً"، وبنحو مفصّل فهو مطلوب من المؤمن على مستوى "القول" لأنّ الكذب ليس من صفات المؤمن ولا من أخلاقه، وعلى مستوى "النية والإرادة" لأنّ صفاء النيّة هي بمعنى أن تصدق مع الله سبحانه فيما تنوي أن تفعله فلا يَدخل في نية العمل شيء لغير الله، وإلّا لم يكن صادقاً فيما نوى، وعلى مستوى "العزم" فلا ينهزم أو يتراجع أو يتردّد عندما يكون العمل المنوي القيام به ممّا يرضى الله سبحانه عنه، وعلى مستوى

"العمل" في كلّ أمور الإنسان في الاكتساب للمال أو في التعامل مع الآخرين من حوله؛ لأنّ الصدق هو الطريق لفتح القلوب أمام الصادق من خلال الثقة التي يكتسبها عند الناس بصدقه وأمانته.

ولهذا فقد ورد في الحديث: «**لا تغترّوا بصلاتهم ولا بصيامهم، فإنّ الرجل ربّما لهج بالصلاة والصوم حتى لو تركه استوحش، ولكن اختبروهم عند صدق الحديث وأداء الأمانة**». فهذا الحديث وأمثاله يوضح لنا أن لا نغترّ بمن يكون كثير الصلاة والصوم إن لم يقترن ذلك بصدق الحديث مع الناس وأداء الأمانة ليكون الصدق كاشفاً عن أنّ عباداته لله وليست للنفاق أو المراء أو اكتساب ثقة الناس من أجل أغراض لا تنتسب إلى الله ﷻ.

من هنا ينبغي للمؤمن الملتزم أن يعيش الصدق والأمانة مع الله ومع الناس في مختلف ما يتعاطى

به معهم من تجارةٍ أو مال أو أمانة حتى يعوِّد نفسه على هذه الصفة الجليلة التي تزيّن الإنسان وترفع من مقامه عند الله أولاً وعند الناس ثانياً، ولو كان على حساب مَصْلحة قد تفوت أو بلاء قد يقع فيه، لكن فوات المصلحة أو الوقوع بالبلاء في الدين أهون بكثير من الكذب، ربما يحصل على المصلحة أو يدفع البلاء ولكن يُعرِّض إيمانه للخطر فضلاً عن وقوعه في الحرام والإثم واستحقاقه للعقاب الإلهي الذي أعدّه للكاذبين من العباد.

مثلما يتراءى للإنسان لأول وهلة إن كل معدن أصفر يعدّ من الذهب، ولكنه بالمحك والمبرد يتبين الخالص من المغشوش، والصدق بمثابة المحك للمؤمن يتبين من خلاله أن عباداته ومعاملاته وأقواله وأفعاله وتقاريره هي مطابقة لما أمر الله تعالى به أم أنها مغشوشة أو مشوبة بالغش والصلاح، لهذا

فإن صدق الحديث وأداء الأمانة هي الباب الواسعة التي تدخل من خلالهما بقية الأعمال الصالحة، إن صلحتا صلح ما سواها وإن فسدتا فسد ما سواها، ولا يمكن أن نتخيل مؤمنا قائما في الليل وصائما في النهار ومجاهدا في سبيل الله، ولكنه مع كل ذلك يكذب ويلفق الحديث لمصالح دنيوية! إلا إذا كان مخادعا فإن هذه العبادات كلها لا تجدي نفعا وإنما لن يحصل منها سوى التعب والشقاء والعناء دون أجر يرتجى وحظ يؤتمن.

مآثر الصدق

من ضرورات الحياة الاجتماعية، ومقوماتها الأصلية هي: شيوع التفاهم والتآزر بين عناصر المجتمع وأفراده، ليستطيعوا بذلك النهوض بأعباء الحياة، وتحقيق غاياتها وأهدافها، ومن ثم ليسعدوا بحياة كريمة هانئة، وتعايش سلمي، وتلك غايات

سامية، لا تتحقق إلّا بالتفاهم الصحيح، والتعاون الوثيق، وتبادل الثقة والائتمان بين أولئك الأفراد.

وبديهي أنّ اللسان هو أداة التفاهم، ومنطلق المعاني والأفكار، والترجمان المفسر عمّا يدور في خلَد الناس من مختلف المفاهيم والغايات، فهو يلعب دوراً خطيراً في حياة المجتمع، وتجاوب مشاعره وأفكاره، وعلى صدقه أو كذبه ترتكز سعادة المجتمع أو شقاؤه، فإن كان اللسان صادق اللهجة، أميناً في ترجمة خوالج النفس وأغراضها، ادّى رسالة التفاهم والتواثق، وكان زائد خير، ورسول محبة وسلام، وإن كان متصفاً بالخداع والتزوير، غدا رائد شر، ومدعاة تناكر وتباغض بين أفراد المجتمع، ومعول هَدمٍ في كيانه.

من أجل ذلك كان الصدق من ضرورات المجتمع، وحاجاته الملحة، وكانت له آثاره

وانعكاساته في حياة الناس، فهو نظام المجتمع السعيد، ورمز خلقه الرفيع، ودليل استقامة أفراده ونبلهم، والباعث القويّ على طيب السمعة، وحسن الثناء والتقدير، وكسب الثقة والائتمان من الناس.

كما له آثاره ومعطياته في توفير الوقت الثمين، وكسب الراحة الجسمية والنفسية، فإذا صدق المتبايعون في مبايعاتهم، ارتاحوا جميعاً من عناء المماكسة، وضياع الوقت الثمين في نشدان الواقع، وتحري الصدق، وإذا تواطأ أرباب الأعمال والوظائف على التزام الصدق، كان ذلك ضماناً لصيانة حقوق الناس، واستتباب أمنهم ورخائهم، وإذا تحلى كافة الناس بالصدق، ودرجوا عليه، أحرزوا منافعه الجمّة، ومغانمه الجليلة، وإذا شاع الكذب في المجتمع، وهت قيمُه الأخلاقية، وساد التبرم والسخط بين أفراده، وعزَّ فيه التفاهم

والتعاون، وغدا عرضة للتبعثر والانهيار.

يحكى أن رجلا كان يعصي الله سبحانه وكان فيه كثير من العيوب، فحاول أن يصلحها، فلم يستطع، فذهب إلى عالم، وطلب منه نصيحة يعالج بها عيوبه، فأمره العالم أن يعالج عيبًا واحدًا وهو الكذب، وأوصاه بالصدق في كل حال، وأخذ من الرجل عهدا على ذلك، وبعد فترة أراد الرجل أن يشرب خمرا فاشتراها وملأ كأساً منها، وعندما رفعها إلى فمه قال: ماذا أقول للعالم إن سألني: هل شربتَ خمرًا؟ فهل أكذب عليه؟ لا، لن أشرب الخمر أبدًا.

وفي اليوم التالي، أراد الرجل أن يفعل ذنبًا آخر، لكنه تذكر عهده مع العالم بالصدق، فلم يفعل ذلك الذنب، وكلما أراد الرجل أن يفعل ذنبًا امتنع عن فعله حتى لا يكذب على العالم، وبمرور الأيام تخلى الرجل عن كل عيوبه بفضل تمسكه بخلق الصدق.

من طبيعة المجتمع المتآزر المتحابب المتآلف أن الثقة مترسخة بين أفراده، ولا يمكن ترسيخ الثقة إلا من خلال الصدق في القول والعمل والابتعاد عن مرديات الكذب والدجل، ربما الإنسان يكسب جولة من خلال كذبة يكذبها أو تدليس يدلس به على عباد الله تعالى، بيد أنه سرعان ما ينكشف أمره ويتعرى موقفه ويخسر عمره نتيجة فقدان ثقة الإخـوان بما يقول ويفعل، وهذه هي سنة الحياة بأن حبل الكذب قصير يردي بصاحبه في الهلكات والمطبات والأهوال والأنفاق المظلمة التي هو في غنى عنها، وتجلب عليه المصائب والمحن أضعاف مضاعفة فيما إذا التزم الصدق في القول وإن تأخر حصوله على الثمر، ولكن العاقبة الحسنة دائما تكون ملاصقة للصادقين، فإنهم يستحوذون على القلوب فضلا على الأشياء في نهاية المطاف.

الصدق من الصفات التي يتمنى كل إنسان أن يتصف بها حتى فاقدها، والصدق يشكل مصدراً من مصادر النجاح في المجتمع البشري، ومن هنا نجد أن الشرائع السماوية قد اعتنت به اعتناءً كبيراً، ووردت فضائله والدعوة للتحلي به.

ويناقضه تماما الكذب الذي هو صفة مذمومة يرفضها حتى من يحملها ويحاول أن يتبرأ منها، وسلخها عن نفسه أمام الناس، وكما نجد في القرآن والسُنة الدعوة الى الصدق، فيقابل ذلك النهي عن الكذب وتوعد مرتكبه المصر عليه بالنار.

وأما الرياء فهو من الأمراض النفسية التي تصيب بعض الناس فيعملون للدنيا ويصبح همهم الوحيد أن يراهم الناس يدفعون المال أو يقدمون الخدمات أو يتعبدون وينسون الأهداف الكبرى التي

يبلغها الإنسان بالعمل الصالح.

الانسان المتبصر بالحياة هو ذلك الذي يهتدي بما دعا إليه القرآن الكريم والرسول الأعظم من السير على نهج الكتاب والحكمة، والتفكر بالنفس والآفاق، وأخذ الدروس والعبر من تاريخ الأمم والشعوب عبر ما ذكره الكتاب العزيز من قصص الأنبياء وما آل إليه مصير الأشقياء إلى خراب وزوال وفناء، وما لاقوه من ظلم وتعسف من طواغيت عصورهم، وما كابدوه من أقوامهم الذين غالبا ما ناصبوا لهم العداء، إلا المخلصين الصادقين وهم قلة في كل زمان ومكان.

والصادق وبما يحمل من علاجات ناجعة لمشاكل الحياة يبصر إلى ما حوله ببصيرة ثاقبة وهو يجزم بأن حياة العابثين عبارة عن سلسلة من المشاكل لا غير، وبأنهم قاصرون عن حل واحد منها، فمشاكلهم

اليوم ما تزال عين مشاكلهم منذ آلاف السنين، وكلما تمادى بها الزمان زادت عددا ثم ازدادت تعقيدا، وأي خير في حياة كلها مشاكل في مشاكل ولا أمل بحل واحد منها؟! ولمن كانت حياته هكذا لأفضل أنه لم يكن.

إلا أن الصادق الصدوق وهو واحد من الناس، لا يرى أثرا لأي من تلك المشاكل في حياته، وإن يكن من مشكل في حياته فهو شوقه إلى معرفة نفسه والآفاق من حوله الذي يجره بطبيعة الحال إلى المعرفة الحقة التي تصطدم وترتطم بها المشاكل كلها وتتحطم، وهو واثق من أن الذي أضرم هذا الشوق فيه سيقوده إلى الجواب الذي يبرد شوقه، إن ذلك الشوق هو المخلص الذي ينقذه من مشاكل العالم، وهو الهادي الذي يمشي به إلى أهدافه، ومثلما خلصه سيخلص الناس وحيث يمشي به سيمشي بهم،

فالإنسان للحياة لا للموت، وللمعرفة لا للجهل، وللحرية لا للعبودية، وليعلم الجميع أن الحياة والمعرفة والحرية تكمن في الصدق، والموت والجهل والعبودية هي مآل كل من اتخذ من الكذب والرياء شعارا ودثارا له في الحياة.

الصدق والكذب والرياء مواضيع متعددة نجد الحديث عنها في القرآن والسُنة النبوية، ونجدها أيضاً في كل الكتب السماوية، ونجدها في عقولنا فالعقل يأمر بالصدق ويحببه، وينهى عن الكذب ويرفضه، ويطلب الإخلاص في النية والعمل حتى لا يقع الإنسان في الرياء.

فوائد الصدق

الصدق أساس حياة المؤمن وميزان الباري سبحانه وتعالى الذي يوزن به الأعمال والأقوال والنيات، ولطالما أمرنا القرآن بالتزامه مرارا وتكرارا:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾. (البقرة: ١١٩). وثمرات الصدق تتجلى في قوله تعالى: ﴿قَالَ اللهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.(المائدة: ١١٩) كما بشر القرآن الصادقين بعرش خاص في مقعد صدق عند مليك مقتدر، أو ما وعد به المؤمنين من مقام رفيع في الآخرة فهو الصادق بوعده: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ، فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ﴾. (القمر: ٥٤- ٥٥).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لله وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الهوَى أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾. (النساء: ١٣٥). هذه الآية تدعو الناس

كافة بالتزام الصدق ولا سيما في الشهادة لتثبيت الحق ودحض الباطل، ولا يكون ذلك إلا من خلال الالتزام الكامل بشهادة الحق والابتعاد كل البعد عن شهادة الزور والكذب والتدليس والباطل، لما فيه من احقاق الحقوق وتوفير العدالة والقسط والنصرة للمظلومين والخذلان لأهل الكذب والتدليس الذي أكد عليه القرآن الكريم في غير آية من آياته المباركة، وطالما طرق مسامعنا أن المؤمن الصادق يتحرى الحق والهدى ويبتعد عن الضلالة والهوى.

ملازمة القسط والعدل والشهادة لله تعالى هي ذاتها الصدق في القول والعمل، فالإنسان الصادق هو الذي يقول الحق والحقيقة بعينها من دون مواربة ولا مخادعة ولا تحريف ولا اعراض، إنه يقول الحق ولو كان الحق يأتي بالضرر على نفسه أو والديه أو أقربائه أو أصدقائه أو عشيرته أو على من تربطه بهم

علاقة عمل أو مصلحة دنيوية أو ما شابه ذلك، فإن هذه الاعتبارات كلها زائلة أمام الصادق في قوله الحق، فإنه لم ولن يضع أمامه عند الشهادة سوى رضا الله تعالى وإقامة الحق وادحاض الباطل، وهو بذلك يتقبل النتائج بكل رحابة صدر ولو كانت في غير مصلحته البتة؛ لأن لذة الشهادة لله هي أعظم في نفسه من لذة طارئة ولكن قائمة على باطل.

هذا بخلاف الكاذب الملفق الذي يشهد شهادة الزور، فإنه قد يكسب الجولة، بيد أن ضميره يبقى يؤلمه مادام على قيد الحياة عاجلا أو آجلا؛ لأنه إنما حصل على براءة أو شهد لباطل على حساب حقوق الآخرين وعلى حساب المظلومين، الذين ستظل أرواحهم وأنفاسهم تلاحق أصحاب شهادة الزور ومن استفاد من شهادتهم فتبتر أعمارهم وتقصم ظهورهم وتنغص عليهم معيشتهم وتجعل أيامهم

كلها سوداء كحلاء لا قيمة لها ولا نماء، علاوة لما ينتظرهم من عذاب ساحق يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

إذن بالصدق تأمن الناس من الغش والخيانة والسرقة وكل الرذائل السيئة التي تؤدي الى خراب وتدمير المجتمعات الإنسانية، وبالصدق يأخذ صاحب الحق حقه وتظهر حقائق الأمور، فلا شك ولا ضياع ولا غش ولا خيانة، وللصدق لذة عظيمة لا يعرفها إلا من حملها، وعكسه الكذب فإنه من الصفات المذمومة والقبيحة عقلاً، والكذب يؤدي الى قتل الثقة بين الناس، وشياعه في أي مجتمع يؤدي إلى سقوط القيم والمبادئ الإنسانية، وقد نهت الشريعة عنه واعتبرت مرتكبه مستحقا للعقاب الشديد وهو من الذنوب الكبيرة التي يستحق مرتكبها المصر عليها النار.

الخاتمة

الصدق فضيلة ما بعدها فضيلة، فمن صدق لسانه زكى عمله، وكيف لا وهي بوصلة نجاة من كل الهفوات والكبوات، وهي منبع كل فضيلة تجلب الطمأنية للنفس وتقرب الطرق الى الحق دون تصفيق أو تلفيق، حيث الاستقرار النفسي وكسب الجهد والوقت وإصابة كبد الحقيقة دونما تعمل وتحر وضياع عمر، ما أعظم فوائد الصدق وهي كثيرة متعددة لا يمكن تسطيرها بورقة كهذه، وطالما نحن في خضم المعترك واذا ما سادت تلك الخصلة بين أوساطنا نستطيع بسهولة أن نلمس جدواها اللطيفة وثمارها الحلوة السائغة.

إن من أهم مصاديق المجتمع السعيد الملفتة للنظر هو اهتمام ذلك المجتمع البالغ بتهذيب وتشذيب السلوك الانساني وتقويمه بإسلوب تخضع

لفرط اعجازه ومثاليته عنق الدهر في كل عصر ومصر وصولا الى أسمى درجات الكمال التي يريدها الباري عز وجل لبني البشر باعتبارهم خلفاءه في أرضه.

ولما كان الصدق من أشرف السمات الأخلاقية وأكثرها فضيلة وتكاملا للنفس الانسانية، كان من البديهي تركيز القرآن الكريم على هذه السمة واندكاك الذوات الطاهرة بها، وكل من يرنو للطهر ما عليه إلا أن يطرق هذا الباب، وبقدر ما نرتقي سلم المجد نرتقي سلم الصدق، حيث العلاقة الطردية بينهما تحتم علينا النهوض بأعباء مقومات الكمال الإنساني، ومما لا شك فيه أن الصدق على رأس تلك المقومات.